**المحور السادس**

**انتشار الإسلام في السودان الشرقي و الحبشة**

**المبحث الأوَّل: أوضاع السودان الشرقي قبل دخول الإسلام:**

**أولا: انتشار المسيحية في الحبشة و بلاد النوبة:**

إن أهم ما يميز الكنيسة القبطية هو انها تقوم المبشرين، و الحبشة كانت أول مسرح لنشاط هؤلاء المبشرين، فبعد سقوط **مملكة دمت** بين القرنين الخامس و السادس قبل الميلاد، خلفتها عدة دويلات صغيرة، في هضبة شمال إثيوبيا. و لقد ساهم إنعاش التجارة في البحر الأحمر في عهد البطالمة على ازدهار المنطقة و ربطها بالبحر الابيض المتوسط، وذلك من خلال الدور الذي كان يلعبه ميناؤها الأساسي وهو ميناء أدوليس (Adoulis) المشهور بتجارة العاج، و عن طريق أحد التجار الشباب المسيحيين و هو فريمونتيوس (Frumentius) الذي القي عليه القبض خلال سفره ،أدخلت المسيحية الى اكسوم، حيث تحول فريمونتيوس هذا إلى مدرّس ملك اكسوم إيزانا (Ezana) الذي اعتنق المسيحية و جعلها الديانة الرسمية حوالي سنة 333م، و بعدها عين فريمونتيوس أسقف من طرف كنيسة الإسكندرية.

أما بلاد النوبة التي تمتد من مدينة اسوان في جنوب مصر إلى غاية الشلال السادس شمال مدينة الخرطوم، و هي تنقسم إلى قسمبن النوبة السفلى (واوات)، و التي تقع معظمها في جمهورية مصر الحالية، و النوبة العليا (كوش)، التي تمتد إلى داخل الاراضي السودانية الحالية. و لقد عرفت النوبة بعد انهيار مملكة مروى فى عام 350 م على يد ملك الحبشة (مملكة اكسوم) عيزانا تأسست ممالك نوبية مسيحية هى ،مملكة نوباتيا التي تقع أسفل الشلال الرابع، عاصمتها فرس  
ومملكة المقرة عاصمتها دنقلا ، ومملكة علوة عاصمتها سوبا، ولقد قامت هذه الممالك في منطقة النوبة السفلى بين الشلال الأول والثاني ، ثم صارت لاحقًا جزءًا من مملكة نوبية أكبر هي مملكة مقرة. تسمى هذه المملكة في الكتابات التاريخية العربية بمملكة المريس،كانت عاصمتها ( فراس )

في اواخر القرن السادس فى عهد الإمبراطورة تيودورا وصل الكاهن جوليان إلي مملكة نوباتيا، واستطاع إقناع ملك نوباتيا واسرته بالدخول فى المسيحية عام 545م ، وهو بداية تحول النوبة للمسيحية **.**

بينما جذور المسيحية في بلاد كانت النوبة مختلفة لأن هذه الأخيرة كانت على علاقة مباشرة بمصر المسيحية . فبعد سقوط مملكة مروى في القرن الرابع للميلاد قام ثلاث زعماء يتكلمون اللغة النوبية بتأسيس ثلاث ممالك على ضفاف النيل، في الشمال مملكة نوياتيا وعاصمتها فاراس، في الوسط مملكة مقره و عاصمتها دنقلة، و في الجنوب مملكة علوة وعاصمتها سوبا (قرب مدينة الخرطوم اليوم) (.

و لما فتح المسلمون مصر على يد عمرو بن العاص سنة 21ه/642م، بقيت بلاد النوبة مستعصية على الفاتحين العرب بسبب تمسك ممالكها بالمسيحية. و رغم محاولة الجيش الإسلامي دخول بلاد النوبة سنة21ه/ 641م،و توغلهم إلى غاية دنقلة عاصمة مملكة مقرة، إلا أنهم اجبروا على التراجع امام استماتة النوبيين في الدفاع عن عاصمتهم، بفضل مهارتهم في الرمي بالنبال، فقد اصيب 300مسلم كلهم في حدقة العين، و منهم إصابة معاوية بن الحديج، و أبي شمرة بن أبرهة، و حيويل بن ناشرة، فسموا منذ ذلك الوقت برماة الحدق. و بعد عشر سنوات اعاد المسلمون الكرة في ولاية عبد الله بن سعد بن ابي سرح وذلك سنة31ه/651-652م، مستعملين المنجنيق فتقدموا إلى غاية دنقلة أيضا محققين انتصارا محققا على مقرة، لكن ملكها كالديرون طلب بأن يتم إمضاء هدنة مع المسلمين عرفت بمعاهدة البقط، و تعد معاهدة البقط بمثابة أطول معاهدة عدم اعتداء و حسن الجوار في التاريخ، اذا دامت لمدة ستة قرون كاملة، بحيث تعترف هذه المعادة بمملكة مقرة النوبية المسيحية باستقلالها، كما تضمن لرعايا كلا الطرفين بالتنقل و التجارة في أرجاء الدولتين الإسلامية في مصر و المسيحية في مقرة بكل حرية، بالإضافة إلى حماية أرواح المسلمين في بلاد النوبة، و أن يتعهد النوبيين بتقديم ثلاثمائة و ستين رأسا من العبيد كل سنة من حر عبيدهم، وأن لا يقيم النوبيين في بلاد المسلمين خلال اجتيازهم لها، و أنه إذا أوى النوبيون أي عبد من المسلمين أو أي فار آبق إليهم من أهل الذمة، أو قتلوا مسلما فإن الهدنة ستصبح ملغاة.

بعد هذه الاتفاقية انطلقت العلاقات الودية لبين المسلمين في مصر و مسيبحيي النوبة، و بدا تدفق التجار المسلمين على مملة مقرة و بدؤوا يستقرون في بعض المدن النوبية، و رغم أن التجار المسلمين لم يكونوا دعاة متحمسين لدينهم لكنهم تمكنوا من ادخال بعض المبادئ الاولية للاسلام إلى االنوبة التي كانت قبل ذلك مسبيحية تماما. كما عرفت النوبة المسيحية انتقال الإسلام اليها من جهة البحر الاحمر عن طريق التجار العرب المقيمين في الساحل مثل مينا عيذاب و مصوع و ذلك بحثا عن الزمرد و الماس و الزمرد الموجودة في الصحراء الشرقية لبلاد النوبة و المعروفة بارض المعدن او ارض الكنز. و في نفس الوقت تدعمت هذه الحركة بوصول البدو العرب من الجزيرة الذين استقروا ببلاد البجة مستفيدين من مصاهرتهم لرؤسا القوم و الاسر الحاكمة من البجة و بذلك بدا نفوذ المسلمين يتعاظم و معه يتهاضم نفوذ الإسلام إلى المنطقة، و بدأت معها عملية التعريب تلازم انتشار الإسلام.

أمام هذا الوضع بدأت العلاقات بين ملوك النوبة المسيحية و ملوك مصر تتوتر حيث، توحدت مملكتا النوبة و هما نوبات و مقرة في مملكة واحدة عُرفت باسم مملكة دنقلة بينما في الجنوب بقيت مملكة علوة المسيحية التي عاصمتها سوبا مستقلة عنهما. و في سنة 707م حاول ملك دنقلة الجديد وهو مركور (Mercure)، بتوحيد مسيحيي ضفاف نهر النيل في خطوة لتقوية صفوف المسيحيين، من خلال بناء كنيسة مسيحية في فاراس وذلك بالتنسيق مع بطارقة الاسكندرية، واستغل ملك دنقلة سجن المسلمين لأحد البطارقة القبط في مصر سنة 748م، ليشن هجوما على مصر وحاصر الفسطاط، ولم يحل المشكل إلاَّ بعدما اطلق سراح البطريق القبطي.

كما استغل ملك دنقلة زاشاري في سنة 831م ثورة الاقباط في مصر ليمتنع عن دفع الاتوات للمسلمين المتفق عليها في معاهدة البقط، لكن الخليفة العباسي قضى على المعارضة المسيحية في الاسكندرية و قتل عدد كبير من الاقباط الثائرين، مما جعل ملك اكسوم في الحبشة تنتقم فيما بعد من الاساطيل التجارية الإسلامية في البحر الاحمر، و قام القراصنة المسيحيين بمهاجمة ميناء جدة أيضا، و توترت العلاقة بين المسلمين و المسيحيين النوبيين إلى درجة مهاجمة المسلمين لميناء ادوليس و احتلوا جزر دهلك.

و لكن مع استمرار الهجرات العربية و خاصة جهينة و ربيعة إلى أرض البجة و مصاهرتهم بالأسر البجية فقويت شوكتهم و قضت على حالة التعنت و الهجمات المسيحية على مصر.

وفي عام 1317م، في عهد المماليك، قام الظاهر بيبرس بالقضاء على مملكة المقرة المسيحية التي كانت مدينة دنقلا عاصمتها، وتم تحويل الكنائس إلى جوامع ومعها انتهت المسيحية، ثمّ تدفق العرب إلى مملكة علوة التي فتحت أبوابها للقبائل العربية التي كان يقودها القائد عبد الله جماع الذي اتحد مع الفونج بقيادة الحاكم عمارة، وكان نتيجة هذا التحالف القضاء على مملكة علوة، وبهذا وفي عام 1504م ظهرت في السودان قوة إسلامية عربية جديدة وهي مملكة الفونج تحت حكم السلطان عمارة دوقنس، ووزيره عبد الله جماع، وشملت مملكة الفونج في تلك الفترة السودان ووادي النيل، ويذكر أنّ كلمة الفونج أو الفُنج تشير إلى السكان السود الذين كانوا يقطنون في النيل الأزرق جنوب السودان.

**المبحث الثاني: الإسلام في الحبشة:**

إن رسالة الاسلام التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت لم تكن تقتصر على قريش او جزيرة العرب و انما كانت رسالة عالمية و ذلك مصداقا لقوله تعالى **:**﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾**،** بالإضافة الى قوله تعالى مخاطبا رسوله الكريم: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ**﴾أي إلى جميع الخلق من المكلفين، وقوله أيضا**:**﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾**.**

لهذا فإن مهمة الرسول صلى الله عليه و سلم و اصحابة بعدما انتشر الاسلام في القريش ثم الجزيرة العربية هو نشره في كافة ربوع المعمورة حتى يقيم الله الحجة على الناس بعد ذلك، باعتبار أن الرسول محمد هو آخر الانبياء و الرسل، و رسالته هي آخر رسالة سماوية.

و لقد كانت افريقيا جنوب الصحراء من اهم المناطق التي اهتم بها المسلمين في نشر عقيدة التوحيد، حيث كان للتجار دور بارز في نقل الاسلام الى الشعوب و الممالك الوثنية في غرب افريقيا، أما بالنسبة لشرق افريقيا او الحبشة فقد كان الدور الابرز في الدعوة يعود الى الهجرات العربية التي كانت تتدفق على السواحل الشرقية لافريقيا قادمة عبر موانىء مصوع و عيذاب وغيرها، و بدات تتركز بين المجتمعات الحبشية هناك مقيمة جاليات اسلامية منذ القرون الاولى لصدر الاسلام.

لهذا سنحاول في هذه الدراسة توضيح عوامل انتشار الإسلام في الحبشة و اوضاع المسلمين هناك و علاقتهم بالممالك المسيحية المتجذرة في المنطقة، و الصراع الاسلامي المسيحي الذي يشكل السمة الغالبة للمنطقة.

**أولا: الحبشة في العصور الإسلامية الأولى:**

الحبشة هو الإسم التاريخي لما يعرف اليوم باثيوبيا، ولقد عرفت إثيوبيا الإسلام عندما أمر الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم المسلمين الضعفاء الأوائل بالهجرة للحبشة هرباً من اضطهاد قريش لهم .و لقد هبط المسلمون في ميناء مصوع و أحسن النجاشي استقبالهم.

اشتق اسم الحبشة من اسم قبيلة (حبشت) اليمنية، وقد هاجرت هذه القبيلة من الجزيرة العربية قبل الميلاد بعدة قرون واستقرت بهذه البلاد وأعطتها اسمها. كانت الحبشة تمثل البلد الآمن بالنسبة للمسلمين نظراً لكونهم يدينون بالديانة المسيحية وأيضا لما عرف عن ملكهم بالعدل وسماحة خلقه وحسن معاملته مع باقي الديانات الأخرى التي كانت موجودة في تلك الفترة , كما أن موقع الحبشة الجغرافي وقربها من شبه الجزيرة العربية ساعدت على اختيارها للهجرة إليها .فهي تعتبر بمثابة الجسر الذي يربط بين القارتين الأفريقية والآسيوية فلا يفصلها عن الساحل الآسيوي إلا مسافة ضيقة تقل عن عشرين ميلاً.

و عموما فقد أسلم النجاشييومذاك، و اختلف مع بطارقته الذين حقدوا على المسلمين حسدا عليهم و استمر حقد الكنيسة بعدها يزداد حيث غذته الصراعات بين المسلمين و الروم النصارى، إذ كان الأحباش يناصرون النصارى الرومان أبناء ملتهم و يعادون المسلمين.

لهذا فإنه وبالرغم من تلك الصلات الطيبة التي ربطت الأحباش والمسلمين في عهد الرسول **صلى الله عليه و سلم**، إلا أنه بدأت بعض الاحتكاكات بين الطرفين بعد ذلك منذ عهد عمر بن الخطاب.

حيث أنه و بتحريض من الروم قام القراصنة الاحباش بشن غارات على ميناء جدة و السطو عليه و دمروا سفنه و قتلوا عددا من المسلمين و لاذوا بالفرار، لذلك وجه عمر بن الخطاب سرية من المسلمين سنة 20ه، بقيادة **(علقمة بن مجزز المدلجي)** لوضع حد لاعتداءات الأحباش لكنها فشلت لذلك قرر عمر بن الخطاب أن لا يفد بعد ذلك أحدا للحرب في البحر.

وفي عهد الخلافة الاموية و خاصة في عهد عبد الملك بن مروان ارسل حملة استولت على جزر **(دهلك) و** جعلها قاعدة للمسلمين اقام فيها حامية لرد أي عدوان حبشي**،** و هنا بدأ يتدفق على بلاد الحبشة التجار المسلمين، و أخذوا يستوطنون سواحلها فاحتلوا مناطق دهلك و مصوع و زيلع لكن هذه المرة بالطرق السلمية عن طريق التجارة و الهجرة و الاستيطان، و بدؤوا ينشرون الإسلام بين القبائل الوثنية، و امتد الى غاية اريتيريا و و شرق الحبشة وجنوبا.

وقد وجدت بهذه الجزر نقوش عربية وشواهد قبور ترجع إلى منتصف القرن الثالث الهجري مما يدل على أن العرب المسلمين كان لهم بهذه الجزر حتى هذا التاريخ .

**ثانيا: ظهور ممالك الطراز الإسلامي:**

لقد تألقت بعض القبائل المهاجرة الى الحبشة و بدأت تترقى الى مراكز اسلامية و مع مرور الوقت تحولت هذه المراكز الإسلامية إلى إمارات أو ممالك إسلامية أطلق عليها البعض اسم إمارات أو سلطنات الزيلع الإسلامية، وأطلق عليها المقريزي ممالك اسم الطراز الإسلامي ، وإن لم تتوحد هذه الممالك الإسلامية تحت سلطنة إسلامية واحدة ، ولكن ظهرت واحدة من هذه الممالك كقوة كبيرة، فمثلاً ظهرت مملكة "شوا" الإسلامية التي بلغت أوج عظمتها في القرن السادس الهجري .

مملكة شوا و التي تأسست في قلب الهضبة الحبشية في اقليم شوا المشهور ، و لقد كان ملوك هذه المملكة من العرب وبالتحديد من عائلة بني مخزومالمهاجرين الى المنطقة. و دام حكم هذه الاسرة حوالي اربعة قرون الى غاية سنة1225م حيث تم اغتصاب حكم المملكة من هذه الاسرة عن طريق شخص يدعى (**بَالرزَه**)، الذي سجن عبد الله المخزومي و استولى على عرش المملكة الى غاية سنة 1252م. لكن بعد ذلك دخلت المملكة في صراعات حول العرش الى ان احتلتها مملكة اسلامية اخرى هي مملكة ايفات التي تمكن ملكها صبر الدين من ضمها الى مملكته التي تحولت الى اقوى ممالك الطراز.

و بفضل سيطرت ايفات على ممالك الطراز الإسلامي سمح للإسلام بان يمتد الى غاية الهضبة الحبشية، و الى غاية اماكن تواجد قبائل الاجاويد الأحباش في النيل الازرق. وكانت الأسرة التي حكمت ايفات تزعم انها تنتمي الى العرب التجار القادمين من اليمن و هم عرب من قريش من ولد غقيل بن ابي طالب ، و سكنوا ناحية تسمى جبرت من أراضي زيلع و سموا بعد ذلك الجبرتية و هم شعب كبير من المسلمين يسكنون الحبشة الى غاية اليوم.

و كان لنجاح هذه المملكة في نشر الاسلام في قلب الحبشة دور في ظهور ممالك اسلامية اخرى في الحبشة و القرن الافريقي خلال القرن الرابع عشر للميلاد، عرفت بدول الطراز لانها كانت تحيط بمملكة الحبشة من الجهة الشرقية مثل الطراز و تسمى ايضا بلاد الزيلع، و قد بلغ عددها سبع امارات هي: أوفات، داورو، أرابيني، هديا، شرحا، بالي، و دارة .

و كانت هذه الممالك تمثل نماذج حقيقية للدول الاسلامية في الحبشة حيث كانت لها مساجد و جوامع تقام فيها الجمعة وصلاة الجماعة، و فيها الزهاد و الابرار، و كانت بلدانهم على جانب عظيم من الخير و الرخاء و جميعها متجاورة ما عدا داره التي كانت ارضها داخلة في اراضي امحرة عاصمة مملكة الحبشة انذاك، و كانت مملكة اوفات اوسع هذه الممالك و ملكها يتبع المذهب الشافعي، لديه جيش مكون من 15الف فارس و اكثر من 20 الف من المشاة ، لهذا كانت لأوفات السيادة على بقية الممالك.

**ثالثا: ظهور الدولة السليمانية و محاربة الممالك الإسلامية:**

و يبدو أن هذه الممالك مرت بمرحالة الضعف ابتداء من القرن 13 ميلادي، حيث بلغت خلال القرن الرابع عشر ميلادي على قدر كبير من الضعف و التفكك، أذ يصفها ابن فضل الله العمري بانها كانت ضعيفة و البنيان و العمران و قليلة الغنى و محصول بلادها قليل، كما أن أحد ملوك الحبشة كان يتسلط عليها، بالاضافة الى تفرق كلمتهم و انتشار العداوة بينهم.

فلقد كان ملوك الطراز يحملون كل سنة لملك أمحرة **(**عاصمة مملكة الحبشة المسيحية**)** الذي يسمى (**الحطّي**) الاقمشة والحرير و الكتان التي كانوا ياتون بها اليه من مصر و اليمن و العراق ، لكن في المقابل كانت هذه الممالك تضم الجوامع و المساجد وتقام بها الخطب و الجمعات و عند اهلها يحافظون على الدين لكن لم تكن منتشرة عندهم المدارس و لا رباطات و لا زوايا لتعليم القرآن.

فعلاقة ممالك الطراز الاسلامية بممالك الحبشة المسيحية اذا كانت علاقة ولاء، فملوك الحبشة هم من يعينون امراء المسلمين، و كان هؤلاء الأمراء يدفعون الاتاوات و ضرائب الولاء، و يساعدون الأحباش في حروبهم مع أعدائهم.

و استفحل الأمر عندما تولت حكم مملكة الحبشة أسرة مسيحية متطرفة تدعى الأسرة السليمانية نسبة الى النبي سليمان و زوجته بلقيس، فلقد تأسست هذه الاسرة على يد ملك متطرف يدعى يكونو املاك الذي كان حاقدا على المسلمين و العرب و مدعوما من طرف الكنيسة الارثودكسية بالإسكندرية، حيث استغل تنازع ملوك ممالك الطراز الاسلامي على السلطة ليخضعهم الواحدة تلو الاخرى بمساعدة بعض ملوكها.

و كان ملوك الحبشة ينظرون الى هذه الممالك الاسلامية بعين الحسد والحقد فاخذوا يتحينون الفرصة للفتك بهم و احتلال ممالكهم، لذلك لما دخل القرن التاسع الهجري/15م، ظهر ملك حبشي اسمه **اسحاق بن داوود** الذي تولى ملك الحبشة سنة 812ه/1409م الذي أحدث إصلاحات كبيرة جعلت مملكة الحبشة تتقوى و ذلك باعتماده على الجراكسة الاتراك في إنشاء مصانع الاسلحة كالسيوف و الرماح و الخناجر التي عوضت النشاب و الحراب التي كانت في الحبشة، و اعتمد على رجل قبطي خبير في تنظيم المسائل المالية حيث ولاه ادارة الشؤون المالية لمملكته، فانتعشت الدولة و عم الرخاء و طغى النجاشي وتجبر، و بدأ يعمل على انتزاع ملك المسلمين في دول الطراز و طردهم من بلاد الحبشة وإبادتهم واسترقاقهم و اعلن حربا على المسلمين كما دعا ملوك الفرنج على التحالف لإزالة دولة الاسلام في بلاده.

استمرت اعتداءات ملوك الحبشة المسيحيين على الممالك الإسلامية في عهد خلفاء يكونوا أملاك، ففرضوا التوات و خربوا المدن و استولوا على تجارتهم، و ظهرت هناك ثورات إسلامية مثل الثورة التي قادها احد تجار مملكة عدل و هو صبر الدين، كما راسل التجار العرب بالزيلع سلطان مصر يستنجدون و يطلبون ايقاف اعتداءات ملوك الحبشة.

كما لجات الممالك الاسلامية ثماني، فيما طالب الاحباش نجدة الاسطول لمساعدة الأسطول البرتغالي الذي أحرز انتصارات حاسمة على الأساطيل الإسلامية في المحيط الهندي .حيث استجابت البرتغال لهذا الطلب الحبشي وأرسلت قوة على رأسها أحد أبناء فاسكو دي جاما، لكن القوات البرتغالية منيت بخسائر فادحة وقتل قائدها، دونان تتمكن القوارب الإسلامية من أن تحقق نصراً على الحبشة والقوات المؤازرة لها . وقد أرسلت ملكة الحبشة هيلانة" في عام/ 1510م رسولاً إلى الملك "عمانويل" ملك البرتغال بهدف الاتفاق على عمل مشترك ضد القوى الإسلامية , لكنها أيضاً كانت تنوي مهاجمة.

كما أن اعتداءات سلاطين الاسرة السليمانية استمرت، وتم القضاء على التمردات و الثورات الاسلامية التي قدها أحفاد صبر الدين كان آخرهم سعد الدين و إبناه الذان قُضِي عليهما عام 1430م. وكادت أن تسقط الممالك الإسلامية و نهاية الإسلام في هذه الديار لولا أن الله قيظ لهذا الدين من ينصره في هذه الديار.

**رابعا: ظهور أحمد بن إبراهيم و استعادة مجد المسلمين في الحبشة:**

بعد سقوط الاسرة السليمانية عام 1468م ، ظهر ملوك احباش متعصبين للمسيحية خلال القرن 16م مثل النجاشي (لبنا دنجل) الملقب بذاود الثالث، و ابنه كلاوديوس حيث عانى المسلمون في عهدهم أياما عصيبة و تقلصت مملكتهم إلى أن اصبحت تضم هرر فقط، و التي كادت ان تسقط نهايا لولا ظهور أحمد بن ابراهيم الذي تولى امر المسلمين و جمع كلمتهم و لقبوه بالإمام ، وبالغازي وبصاحب الفتح، و لقبه الأحباش بالغراني (Gragn) أي الأعسر، و لقد عمل على التوغل إلى داخل الأراضي الحبشية فوصل إلى الأقاليم الشمالية و انتصر عليهم في عدة مواقع حتى كاد أن يفنيهم ، و قد جاهد الامام احمد الاحباش لمدة 12 سنة من سنة 1531 الى 1543م، وكان يحارب بجيش قدر عدده بعشرة آلاف مقاتل الى أن استشهد في احدى المعارك.

و لقد كان الأمير أحمد قبل ان يتزعم الجهاد فارسا في جيش (**الجراد أبون**) أمير مقاطعة عدل، الذي كان رجلا صالحا أقام الحق و امر بالمعروف و نهي عن المنكر و قتل قطاع الطرق وأبطل الخمور واللَّعب و الرقص و الطبول و عمرت البلاد و احب الاشراف و الفقهاء و المشايخ وسيطر على مملكته. وقد تم ذلك بعد أن نقل عاصمة دولة عدل في عام 1521 إلى مدينة هرر .وكانت الحبشة في ذلك الوقت تحت حكم الملك "لبني دنجل" وكانت أمه الملكة هيلانه وصية عليه تتحكم في امور الدولة وكان الملك الشاب يستهين بقوة المسلمين .

و لما توفي الجراد ابون من طرف قطاع الطرق خلفه على امارة عدل السلطان أبو بكر من ذرية المجاهد سعد الدين ، الذي ظهر في عهده قطاع الطرق و شرب الخمور و كثر الظلم، فاشتكى من أمره الفقهاء و شيوخ الدين بسبب تركه للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و انتشار المحرمات، ولم يجد الناس من ينصفهم، وفلما علم الامام احمد بخروجه عن منهج الكتاب و السنة هرب من البلاد هو و جماعة من عساكره الى منطقة **(هوبت) أو ( آبت)** و كان عدد خيولهم اكثر من مائة فنصبوا الجراد عمر الدين و اعلنو تمرده على ابي بكر، واعلن الجهاد، و كانت أول غارة قام بها على الاحباش كانت هجومه على أحد البطارقة الذي قام بسبي نساء المسلمين و أخذ أموالهم ومواشيهم في مكان قريب من هوبت، فقتل من البطارقة عددا كثيرا ومن الجنود المسيحيين الآلاف، و غنم المسلمين ستين فرسا و عدد من البغال والعربات وحرروا اسرى المسلمين و استردوا مواشيهم المغتصبة و كان اول انتصار يحققه أحمد بن إبراهيم على الأحباش.

و بعدها استشهد الأمير عمر الدين في إحدى المعارك، و كان الامام احمد يحارب جبهتين الإمبراطور الحبشي المسيحي من جهة وسلطان عدل أبي بكر الذي غدر بهم و أعلن ولاءه للامبراطور الحبشي، بعدها تمكن من قتل السلطان ابي بكر و تفرغ لمحاربة الامبراطور، فمنع موظفيه من جمع الأتوات من أراضي المسلمين، أو من أن يدخلو عاصمة عدل هرر، و اتخذ راية له، ونظم اموره بتقسيم البلاد الى خمسة اقسام و عين على كل منها اميرا و كان ذلك سنة 1527م.

حقق الامام احمد انتصارات عظيمة و فتح سلطنة دوارو،و قتل قائدها و سيطر على جنوبي شرق الجبشة، و سيطر على ايفات في سنة سنة 935 هـ / 1529 في موقعة ( **شنبر كوري** ) أو (**صمبر كوري**) و أسر عدد كثير من المسيحيين بما فيهم بنت خالة الامبراطور الحبشي و افتديت بخمسين الف اوقية من الذهب. ثم انتقل الى محاربة بلاد الحبشة داخل اراضي المسيحيين، فلجأ الاحباش الى التحالف مع البرتغاليين سنة1526م. فلجأ الاتراك الى مساعدة احمد بن ابراهيم وأمدوه بالجنود و بالأسلحة النارية والمدفعية، و بالتالي أحرز الأمير أحمد نصراً على الأحباش وأعقب ذلك في 1531 بدخوله "دوارو وشوه ومهره ولاسا"، واستعاد إمارات" بالي وهدية وسدامة " وهكذا لم يأت عام 1535 حتى كان المسلمين يسيطرون على جنوب الحبشة ووسطها مما اضطر الملك الحبشي للهروب من وجه الإمام.وهكذا اتخذت المعارك بين الطرفين صورة حرب دينية .

وكان نجاح الإمام في اقتحام أبواب عاصمة الملك الحبشي( أمهرا ) أثراً كبيراً .وأصبح الإمبراطور مطاردا حيث لجأ إلى قمم الجبال، كما ادت انتصاراته الى اعتناق عدد كبير من الاحباش للاسلام، وتمكن أحمد من احتلال أكسوم نفسها. و بذلك سيطرت الجيوش الاسلامية على بلاد الحبشة بزعامة أحمد بن إبراهيم، و اخذت النصرانية في الانهيار تحت ضغط المسلمين، ولكن وصول القوات البرتغالية لمساعدة المسيحيين ادت الى استشهاداحمد بن إبراهيم سنة 1542م.

بعدما استشهد أحمد بن إبراهيم في احدى المعارك سنة 1543م، خلفه على قيادة المسلمين ابن أُخته الأمير نور الدين بن مجاهد إماماً ليخلف خاله في الجهاد واستطاع أن يتصدى للجيوش الحبشية و الذي استطاع قتل الملك كلاديوس.

**خامسا:.الإسلام في الحبشة بعد أحمد بن إبراهيم:**

بموت الامير نور الدين انتهى مجد مملكة عدل فعادت الحبشة إلى إلحاق الأذى بالمسلمين الذين أصبحوا عاجزين عن مقاومة تعدي الأحباش، و بدأت أوضاع المسلمين تنهار شيئا فشيئا وبدا الأحباش يخترقون ارض المسلمين من الجنوب و كادوا ان يقضوا على الاسلام في الحبشة.

و قد انتزع الاحباش من ايدي المسلمين مملكتي بالي و هديا و استقروا ما بين هرر عاصمة عدل وشوا، اما المسلمين فقد تمركزوا في (**أوسه)** و اتخذوها مقرا لهم. لكن المجهودات التي قام بها احمد بن ابراهيم لم تذهب سدى، حيث ان الاسلام كان قد انتشر في عهده بين صفوف المسيحيين والوثنيين في هضبة الحبشة، حتى انه اسلم سكان منطقة جالا و الايجو الوثنيين، و في 1780م تمكنت قبائل الايجو من السيطرة على العاصمة القديمة للحبشة أمحرة و أصبح رئيس قبيلة إيجو المسلم يتحكم في النجاشي، بعدها أصبح ابن عمه(**علي**) المسلم نجاشيا و ملكا على الحبشة كلها، فكان هذا فاتحة عهد جديد للمسلمين في الحبشة.

**سادسا. النهضة الاسلامية في الحبشة:**

خلال منتصف القرن19م حدثت نهضة علمية اسلامية في شرق الحبشة بفضل اتصالها باليمن و الحجاز، وتأثرت حتى المناطق الغربية بسبب الغزو المصري للسودان في عهد محمد علي باشا 1821م، و انتشر علماء المسلمين حتى في منطقة جالا في الداخل، حيث يقول الكاتب النمساوي **بولتشكي(**Paulitshke**)**لما زار جالا: **«ما أدهشني في بلاد جالا كثرة الدعاية الاسلامية الغيورة فيها ، قد لاحظت الشافعية في هرر على اتصال دائم بالحرمين و أن مئات الشباب ياتون لزيلع و بربرة كل سنة للتبشير ( يقصد لنشر الدين الاسلامي) و يتسع نطاق اعمالهم الدينية ، و يتقدم الاسلام بين قبائل الصومال، و إن لم توجد فيهم روح الاسلام الصحيح كثيرا(أي الاسلام السطحي)»**.

و من اأحداث التي عرفتها الصومال الجنوبي قيام حركة جهاد المعروفة **بالباديرا** و هي حركة اسلامية اصلاحية انطلقت من منطقة باديرا الواقعة على نهر جوبا و كان هدفها نشر الاسلام وإقامة دولة اسلامية في الصومال الجنوبي، وقد تمكنوا من إخضاع مدينة برافا الساحلية سنة 1840م لكن هذه الحركة أخمدت كما بدأت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر انتشار الطرق الصوفية خاصة القادرية و الأحمدية و الصالحية و التي بدأت تتغلغل داخل الصومال و تنشئ مستوطنات اسلامية في مختلف انحاء البلاد.

كما وزعت الحكومة المصرية لما غزت السودان المصاحف على اهل هرر و شوا حتى أصبحوا من أشد الناس حفاظا على الإسلام و ازدادت قوافل الحج المنطلقة من زيلع و تغرة، كما عمل رؤوف باشا وهو حاكم مصر على هرر على إصلاح اعمال الصوماليين والقضاء على المفاسد، واستمالهم إلى اعتناق الإسلام و نشر العدل و النظام.

**سابعا: سلطنة جما الاسلامية آخر معاقل المسلمين في الحبشة:**

بخروج الحكومة المصرية من الحبشة بعد انهزامها في معركة قراع 1871م، عادت عمليات اضطهاد المسلمين من طرف المسيحيين حيث تم تنصير 50 الف مسلم بالقوة عام 1880م،مما ادى الى هجرة عدد من المسلمين للأراضي الحبشية هروبا بدينهم، و قام النجاشي مانلك بتوحيد الحبشة من جديد تحت سلكته و ضم الممالك الاسلامية و الوثنية و المسيحية لسلطته سنة1892م، و لم تبق إلا سلطنة **(جما)** مملكة اسلامية مستقل، التي اسلمت خلال النصف الأول من القرن 19م عن طريق تاجر مسلم مشهور باسم نقادي شوى (و معناها بلغتهم قائد القافلة) و أصبحت مملكة اسلامية ملكها محمود بن داود المشهور باسم **(ابَّا جفار**) أي صاحب الحصان الكميت.

تولى هذا الملك حكم سلطنة جما في سنة 1887م، و كانت تربطه علاقة طيبة مع الإمبراطور الحبشي مانليك، وكان يساعده في إدارة المناطق الداخلية للبلاد، وكان يشرف على جميع المحاكمات، ويشرف على حماية الأجانب في الأسواق، و رغم ذلك فقط قام النجاشي مانليك في يوم من الأيام بإخضاعها لسلطته، ولكنه أبرم معها معاهدة ليبقى الملك فيها لأسرة أبا جفار وراثيا، بالإضافة الى تأديتها جزية سنوية لملك الحبشة في اديسا بابا، و ظلت هذه الجزية تزدادا كل سنة بغرض اضعاف آخر مملكة اسلامية و لا تستطيع الاستقلال.

و عموما فاننا ممكن ان نعتبر بأن الفترة الزاهية للاسلام في الحبشة التي بلغت اوجها بين القرنين الرابع عشر و السادس عشر انتهت بهزيمة المسلمين سنة 1887م ىبتدخل دولي ممثل في دولة البرتغال والكنيسة الكاثوليكية العالمية وظهور الاستعمار الأوروبي وهيمنته على القرن الإفريقي.

كما تفاقم الوضع أكثر بعد الاستقلال و ذلك منذ وصول النظام الشيوعي الى الحكم بقيادة منجستو هيلا مريام، حيث ازداد وضع المسلمين في إثيوبيا سوءًا لأسباب سياسية عدَّة، منها: الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق، وظهور جبهات إسلامية وقومية مسلَّحة مختلفة المرامي والمقاصد في المنطقة، والصراع الإثيوبي الإريتري من جهة، بالاضافة الى الصراع الإثيوبي الصومالي من جهة أخرى. وقد حارب منجستو جميع المظاهر الدينية المسيحية والإسلامية على حدٍّ سواء.

لكن مع بداية الانفراج السياسي للمسلمين في إثيوبيا و تحولها إلى مرحلة الديمقراطية والتعددية الحزبية والنظام الفيدرالي في الحكم بقيادة رئيس الوزراء الراحل مليس زناوي، وفي عهده تنفَّس المسلمون الصَّعداء ورأوا أنهم جزء أساسي من الوطن وأبدوا الثقة بالحكومة بعد إعطائهم نوعًا من الحرية السياسية والمشاركة في الحكم، حيث ضمت حكومة مليس 12 وزيرًا مسلمًا، إضافة إلى إنشاء برامج تعليمية وتدريبية للمسلمين في كافة المناطق المسلمة المهمَّشة ّ، كما تم فتح أول كلية إسلامية في أديس أبابا، وتزامن مع هذا أيضًا إنعاش الاقتصاد في المناطق المسلمة.

ورغم أن إثيوبيا تعتبر دولة حبيسة ليس لها منفذ بحري ودولة تعاقبت فيها أنظمة مَلَكية وديكتاتورية لعدة قرون تمنع الحرية السياسية والاقتصاد الحر إلا أن هذا الكبت السياسي والاقتصادي زال تدريجيًّا بوصول مليس زناوي إلى سُدَّة الحكم، وبدأ صوت المسلمين يُسمَع في أروقة الحكومة والدوائر الحكومية المختلفة لأول مرة في التاريخ الإثيوبي السياسي .

**المبحث الثالث**

**الإسلام في ممالك السودان الشرقي**

بعد زوال الممالك الإسلامية ظهرت ممالك أخرى إسلامية على أنقاضها في شرق إفريقيا وبلاد النوبة، حيث كان ظهورها نتيجة للتأثير العربي الإسلامي في المنطقة من خلال نشاط التجار العرب المسلمين القادمين من اليمن و الحجاز، و تمركزهم في موانئ سواحل النوبة مثل مصوع و دهلك وعيذاب، و اختلطوا بالشعوب النوبية و تصاهروا معهم و اشتركوا مهم في التجارة ونقلوا اليهم الإسلام و اللغة العربية، ولعل أهم هذه المملك مملكة الفونج التي اتخذت من مدينة سنار الواقعة شرقي الخرطوم مركزا تجاريا لها،و التي استطاعت أن تمد نفوذها إلى جميع الاراضي السودانية الحالية تقريبا.

**أولا: مملكة الفونج:**

عرفت هذه المملكة أيضا بالمملكة السنارية، و ذلك نسبة إلى المكان الذي قدمت منه، والفونج نسبة إلى عائلة الفونج الحاكمة في المملكة. و لقد شكل موضوع اصل هذه المملكة الكثير من الجدل، فهناك اراء تنسبهم إلى الشلك الذين ينحدرون من منطقة بحيرة فكتوريا نيانزا قبل هجرتهم إلى السودان، حيث يذهب هذا الراي إلى أن الشلك هجموا على النيل الأبيض بقورابهم اين كانت تسكن هناك قبائل عربية التي كانت تعيش على شكل مشيخات تعرف بالعبد اللاب نسبة إلىزعيمها عبد الله جماع، فأخضعوهم و أسسوا دولتهم التي تسمى سنار**.**

و هناك روايت ترنسبهم إلى اصل اموي، أي إلى مهاجرين امويين هاجروا خلال النكبة الاموية إلى الحبشة و بالضبط من منطقة لمؤول في شمال الحبشة بغرب اريتيريا. و هناك رأي يقول أنها جاءت من الغرب من منطقة دارفور و بورنو، وأن هذه المملكة أسسها الملك عثمان أكاد الذي طُرد من دارفو سنة 1486م ، حيث توجه عثمان إلى السودان الشرقي و استعان بقبائل الشلك الذين ساعدوا حفيده على هزيمة العبدلاب و اقامة دولته بسنار.

عموما فإن تأسيس مملكة الفونج يعود إلى سنة910ه/ 1504م، عن طريق عمارة دونقس الذي استغل سقوط مملكة علوة المسيحية ليتحالف مع مملكة العبدلاب العربية و زعيمها عبد الله جماع من أجل القضاء عليها فهزموها في معركة أريجي الواقعة على ضفاف نهر النيل الأزرق، وكان نتيجة هذا النصر اتفاق بين المملكتين على تقسيم النفوذ، حيث يكون عمارة دونقس ملكا عليه وعلى كل المملكة متخذا سنار عاصمة له، بينما يكون عبد الله جماع نائبا له على الجزء الشمالي من المملكة، و اتخذ من مدينة قرى عاصمة له.

كان السناريون قبل حلفهم مع العبدلاب وثنيين لكنهم بعد تاسيسهم للمملكة و تحالفهم معهم اعتنق عمارة دنقس الإسلام و أصبحت مملكته إسلامية رغم بقاء الكثير من مظاهر الوثنية سائدة في صفوف الهمج الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للجيش و الموظفين و الحراس في المملكة.

حكم مملكة الفونج خمسة و عشرون ملكا في مدة تفوق ثلاثة قرون من الزمن، من 1504م إلى سنة 1821م، عرف فيه الإسلام الثقافة الإسلامية انتشارا كبير في بلاد السودان. و تحولت «سنار» إلى مركز إشعاع حضاري بفضل موقعها الجغرافي في قلب السودان، وبتركيبتها السكانية التي استوعبت جل الأعراق العربية والإفريقية، وتجلت فيها روح التسامح الإسلامي والتصالح مع الثقافات المحلية الموروثة مما قبل الإسلام. واهتم سلاطين «سنار» بمختلف فروع العلم والمعرفة، وسجل السناريون حضورهم في الأزهر الشريف بـ «رواق السنارية»، وفي بلاد الحرمين الشريفين بعدد من الأوقاف الخيرية لخدمة الحجيج القادمين من القارة السمراء.

**ثانيا: الإسلام في مملكة الفونج:**

كان لظهور مملكة الفونج دور فعَّال في نشر الإسلام في السودان الشرقي، فرغم أنه في بداية الأمر كان الإسلام في البداية سطحيا، حيث أنه لم تشهد العاصمة سنار في البداية أي مسجد على ترابها، و كان الرجال فيها بعيدون أشد البعد عن تعاليم الإسلام رغم نظقهم بالشهادتين ،إذ كان الرجل يطلق زوجته و يتزوجها رجل آخر في نفس اليوم دون عدة، و هذا نظرا لغياب نشاط الفقها و العلماء، و امتزاج الإسلام بالعقائد المحلية**،** كما أن الملك الذي كان يطلق عليه إسم سيد القوم،لم يكن في البداية مشدودا للعلماء و الفقهاء بل أنه كان يعتني بالكهنة الوثننيين ويجالسهم رغم إسلامه، لكن مع مرور الوقت بدأت هذه المملكة تعمل على الدعوة و نشر الوازع الديني، وعمدت إلى ارسال بعثات علمية إلى الحواضر العلمية في العالم الإسلامي و خاصة الازهر الشريف من اجل تكوين نوعي للفقهاء و الدعاة السناريين، إذ تذكر المصادر بأن ملوك سنار اهتموا بالعلم ولذلك أقاموا رواق السنارية في الأزهر بالقاهرة من اجل طلاب مملكة سنار هناك، وشجعوا علماء الدين الإسلامي للهجرة إلي السودان للدعوة ونشر العلم. وأنشأ أحد سلاطين مملكة سنار و يدعي بادي الأحمر وقفاً بالمدينة المنورة لاستقبال الزوار من مملكته للإقامة هناك عند زيارتهم للأراضي المقدسة، ولا يزال جزء من أوقاف السودان هناك، فبدأ سلاطين سنار يقربون العلماء وشيوخ الصوفية اليهم و إلى مجالسهم.

فملوك الفونج لم ينشروا الإسلام بالقوة ، فإذا استثنينا بعض الحالات التي استعمل فيها العنف لنشر الإسلام بين الجماعات الوثنية و القضاء على العادات القديمة، فان أساليب الدعوة الإسلامية زمن الفونج كانت سلمية خالصة. و تميزت هذه المرحلة من تاريخ الدعوة بظهور طبقة الفقهاء و رجال الصوفية الذين جلبوا أساليب جديدة للدعوة الإسلامية.

ونتيجة لذلك انتشرت العلوم الإسلامية و اللغة العربية بصورة نظامية خاصة مع انتشار الخلاوي التي تعرف بالكتاتيب في السودان لتحفيظ القرآن الكريم و علوم العربية و الحساب. و كان لهذه الأماكن أثر بالغ الأهمية حيث تلاقت الجماعات السودانية من مختلف مناطق البلاد وتمازجت و اختلطت بدرجة كبيرة، وقامت على إثر ذلك مدن وقرى أدت إلى تحول كبير في حياة الناس من البداوة إلى المدنية و التحضر. و في عهد دولة سنار دخل التصوف إلى السودان على يد الشيخ تاج الدين البهاري القادري قادماً من الحجاز عام 1571م، و أقام في وادي شعير بالجزيرة و أخذ عنه اليعقوباب و محمد ود رحمة الحلاوي و شاع الدين ود التويم الشكري و عجيب المانجلك ملك العبدلاب ومحمد الهميم ود عبد الصادق الركابي ثم العركيون من بعد.

و لقد ترك التصوف بصمات واضحة في انتشار الاسلام في االسودان الشرقي من خلال التعليم الاسلامي و الكتاتيب و الخلاوي، و كذا نشر العقيدة االسنية، و أسهمت بقدر كبير في نشر علوم الدين و اللغة العربية .

كما عمل ملوك سنار على ربط مملكتهم بالعالم الاسلامي، و خاصة مع الحواضر و المراكز العلمية الاسلامبية،و في مقدمتها الازهر الشريف و الحجاز، القيروان و فاس و مراكش، و كان هذا التواصل عن طريق قوافل الحجاج المتوجهين نحو مكة أو القادمة من المغرب الإسلامي و غرب إفريقيا و التي كانت تمر بسنار التي صارت قبلة للناس من كل حدب وصوب.

لقد جلب القادمون من الغرب مذهب الإمام مالك و رواية ورش عن نافع ونظراً لوقوعها في طريق الحج أصبحت سنار مستقراً لكثير من الناس القادمين من ممالك الحزام السوداني مثل واداي و كانم وبرنو و باجرمي و مالي و السنغاي و صوكتو على أيام عثمان دان فوديو، و من مملكة الفوته تورو التي قامت تحت حكم عمر بن سعيد الفوتي، و فيما بعد قدم الحاج عمر بنفسه من مالي لتستقر أسرته في منطقة سنار ويظل أحفاده هناك حتى يومنا هذا. و نستطيع القول أن سلطنة سنار قد أمدت السودان الحديث بأهم خصائصه القومية المتواصلة بين الأجيال بسبب التمازج العرقي و الثقافي الذي تم برعاية تلك الدولة الفتية) .

لم يظهر التصوف في بدايات دولة سنار الإسلامية، لكنه ظهر بعد تشجيعه من بعض سلاطين سنار المتأخرين، بعد ظهور نزعات قبلية عميقة، فأراد هؤلاء السلاطين أن ينتشر التصوف، حتى يصرف الناس عن التعصب القبلي والعنصري.

وفدت الطرق الصوفية للسودان من عدة مصادر هي الحجاز ومصر وشمال وغرب أفريقيا. وقد سبقت مرحلة دخول الطرق كمؤسسات منظمة ذات تعاليم وأذكار وأوراد جماعية ومشتركة، مرحلة اتجاه فردي في التصوف ساد قبل مجيء الشيخ تاج الدين البهاري، أول داعية للطريقة القادرية، التي تشير معظم المصادر إلى أنها أقدم الطرق دخولاً إلى السودان.

قام شيوخ الطرق بوصفهم فقهاء ومتصوّفة بالعديد من الأدوار والوظائف في مجتمعاتهم ومن أمثلة ذلك دور: المرشد، والمعلم، والإمام، والمأذون، والطبيب، والوسيط المتشفع في فض النزاعات والصراعات والحروب ونصرة المستضعفين لدى الحكام والسلاطين. كما كان الناس يستشيرونهم ويستفتونهم في أمورهم وشئونهم الحياتية المختلفة ويلجأون إليهم لإطعامهم عند الحاجة. وكان لشيوخ وزعماء الطرق الصوفية علاقة بالسياسة اتخذت أشكالاً وصوراً متباينة خلال فترات الحكم المختلفة التي شهدها السودان بدءاً بفترة سلطنة سنار، والتي كانت في نصفها الثاني "العصر الذهبي" للطرق الصوفية ومشايخها في السودان، نظراً لما كان لها ولهم من منزلة علمية ودينية ومكانة اجتماعية ونفوذ سياسي.

و في ذكر الطرق الصوفية نشير إلى عدد من العائلات الصوفية التي كان لها دور بارز في نشر الاسلام في بلاد الفونج، و منها عائلة العركي ، حيث كان الشيخ محمود العركي قد رحل الى مصر و تلقى العلم على مشايخ ذلك العصر مثل ناصر و شمس الدين اللقاني، و لما عاد إلى السودان عمل بما تعلمه، فكان أول من أمر النساء بالعدة بعد الطلاق أو الترمل بعدما كانت المرأة تتزوج في نفس اليوم الذي طُلّقت فيه أو رُمّلَت. بالإضافة الى عائلة جابر، حيث كان الشيخ ابراهيم البولاد بن جابر بن غلام الله بن عائد الذي ولد بمنطقة الشايقية ثم ارتحل الى مصر و تَفَقَّه على يد الشيخ محمد البنوفري إمام المذهب المالكي بالقاهرة، و لما عاد الى وطنه أدخل إلى مملكة الفونج دراسة كتابي رسالة أبي زيد القيرواني و مختصر خليل بن إسحاق، فالتف طلبة العلم حوله وحول أخويه من بعده إسماعيل و عبد الرحمان.

فلقد كان للشيخ جابر أربعة أولاد، حيث ساهموا هم و أحفادهم من بعدهم بدور كبير في نشر التعليم الديني الفقه في كامل السودان الشرقي، كما عرفت أختهم فاطمة بنبوغها في العلم والصلاح، خَلَّفَت وراءها بيتا علميا لا يقل عن بيت آل جابر في العلم و الصلاح، منهم الصغيروناب أحفاد ابنها سيدي محمد بن سرحان الملقب بصغيرون ،الذي تعلم على أيدي أخواله ثم درس على البنوفري، الذي اصبحت لديه مدرسة خاصة به و شُدَّت إليه الرّحال و أخذ عنه الأبناء و الأحفاد.كما أنشأ آخرون من أحفاد أولاد جابر مدارس خاصة بهم كما قام ابناء عمومتهم بدور مماثل في نشر الاسلام و عقيدة التوحيد من خلال مدارسهم بكردفان و جبل الحرازة التي سكنوها قبل قيام مملكة الفونج.

و كان الشيخ الصوفي العالم الفقيه إدريس بن الأرباب (توفي سنة1060ه/1650م) مُتَبحّر في جل العلوم حتى إذا ما حدثته في أي موضوع إلاَّ و حدَّثك عنه حتى يظن السامع أنه لا يحسن إلا هذا العلم، وقد كان أول من أدخل إلى سنار الفتوى التي افتاها مفتي اسطمبول بتحريم الدخان.

داخلياً كان لسلطنة سنار علاقات مع الممالك الإسلامية التي كانت قائمة في منطقة جبال النوبة مثل تقلي و العباسية أما عن طريق التواصل السلمي أو عبر الهيمنة العسكرية مما مهد الطريق لتدفق هجرات عربية كبيرة إلى كردفان ممثلة في الحلف الذي تكون بقيادة الغديات الذين كانوا يعتبرون أنفسهم فرعاً من الفونج في كردفان.

لقد زار سنار كثير من الشخصيات التي كان لها أثر بعيد في نشر الثقافة العربية الاسلامية في السودان الشرقي، و من هؤلاء السيد محمد عثمان الختم صاحب الطريقة الختمية وهو وليد مكة المكرمة عام 1208ه/1838م، حيث أرسله سيده الشيخ أحمد بن إدريس لنشر الطريقة الادريسية الشاذلية إلى بلاد السودان فلقيت دعوته نجاحا محدودا في شمال السودان و شرقه، وبعد وفاة شيخه إدريس أسس طريقته الختمية ، وأنشأ لها عدة زوايا في مكة المكرمة والطائف وجدّة والمدينة المنورة، ومنها بعث بأبنائه إلى عدة جهات من جنوب الجزيرة و مصر و بلاد السودان من أجل الدعوة للطريقة الختمية و نشرها، ومعه انتشر الإسلام في جبال النوبة على يد تلاميذه من أمثال السيد إسماعيل الولي و غيره ، وأمتد تأثير السيد الختم إلى شرق السودان و إريتريا و الحبشة؛ و من هؤلاء السيد محمد بن عمر التونسي المؤلف و المؤرخ المشهور الذي وضع كتاب (تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان). وأقام بجوار سنار الشيخ علي ود بقادي الكاهلي الذي كان يعتبر أعلم أهل السودان في ذلك الحين، و قبل هؤلاء جميعا الشيخ فرح ود تكتوك الذي تعتبر قبته أحد أبرز المعالم في منطقة سنار.

كما زارها الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي القادري الذي قدم إلى سنار في عام 1577م، من بغداد عن طريق الحجاز حيث استقبله داؤد بن عبد الجليل التاجر السوداني و دعاه إلى زيارة السودان، و خلال إقامته في سنار التي دامت سبعة أعوام قام تاج الدين بتسليك عدة مريدين في الطريقة القادرية من سنار منهم الشيخ عجيب الكبير، ملك العبدلاب، وشلع الدين ولد التويم جد قبيلة الشكرية العربية، و اتبعه أيضا الشيخ حجازي بن معين، و الشيخ بان النقا الضرير و غيرهم، و قد كسب اتباع الشيخ تاج الدين مكانة مرموقة في بلاد الفونج و نالوا مكاسب وامتيازات كبيرة عند ملوك الفونج الذين قربوهم إليهم، و اشتهروا بالكرامات و و أصبحت كلمتهم مسموعة لديهم، فلق كان السلطان عمارة دونقس يقرب الفقهاء و العلماء المسلمين إلى مجلسه، فحتى الجاسوس اليهودي يوسف روبيني كان قد تنكر في زي فقيه مسلم ليَتمكَّن من التَّسلل إلى قصره، و رغم أنه انكشف أمره بعد ذلك لكن عمارة دونقس عفا عنه.

**ثالثا: مملكة دارفور (سلطنة الفور):**

تنسب هذه المملكة إلى اقليم دارفور في شرق افريقيا، والتي يحدها من الشمال الصحراء الليبية ومن الجنوب بحر العرب و من الفغرب ممالك وداي و بغرمي و تشاد، و يعد الفور هم السكان الاصليون للملكة يستقرون في المنطقة الجبلية الوسطى التي تضم جبل مرة، كما سكنتها قبائل نوبية سودانية و ليبية من الزغاوة منذ القرن السابع للميلاد، بالاضافة إلى عناصر عربية من جهينة و غير جهينة هاجرت اليها عبر مراحل تاريخية مختلفة، ولما كانت هذه القبائل العربية تمتهن رعي الأبقار والإبل فقد عُرفت بالبقارة و الأبالة.

و تذكر المصادر أن قبائل الداجو هم أول من أسس مملكة في دارفور ثم تلاهم التنجور ثم اسرة كيرامن الفور، و ينقسم أصول شعب الفور إلى ثلاثة أقسام هي: كونجارا ، توموركا وكراكيت.

**ــ الكونجارا** : هم شُعبة من الفور امتزجت بدماء عربية من بني هلال و التنجور. و هم عرب لم يعرفوا في تاريخهم أي لغة غير اللُّغة العربية.

**توموركا:** مشتقة من كلمة تومور و التي تعني المتخلف حضاريا، أو المتوحّش أو الأعاجم في بعض الأحيان.

ــ **الكيراكيت:** و هم سكان جبل مرَّة ، و هم يتكلمون لغة البطون الدارفورية لكن بمخارج حروف مختلفة،و تمتاز وجوههم بسمرة واضحة.

الجدير بالتنويه أن تاريخ بداية دارفور لا يزال غامضا و مضطربا نظرا لندرة النصوص التاريخية التي تتحدث عن الفترة التي سبقت فترة حكم الداجو والتنجور، و التي عرفت هجرة القبائل العربية سالفة الذكر إلى دارفور. فالمعلوم لدينا هو أن الداجو أسسوا دولة الفور وحكموها خلال القرنين الثالث عشر و الرابع عشر، إلى غاية فقدانهم السيطرة على تجارة القوافل لصالح التنجور الذين فرضوا سيطرتهم على المنطقة الوسطة من المملكة خلال القرن الخامس عشر للميلاد و تفرق الداجوا الذين انحسروا شرق و جنوب شرق جبل مرة، و خلال القرن السادس عشر و هي الفترة التي تشكل أوجّ عظمة حكم التنجور أخذ الإسلام في الانتشار ببطء، و ذلك بفضل وصول هجرات العرب البقارة من جهينة إلى سهول دارفور الجنوبية الذين اختلطوا مع السكان الاصليين لدارفور.

**رابعا: حركة انتشار الإسلام في سلطنة دارفور:**

دخل الإسلام دارفور منذ عصور، وربما يرجع للقرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، أي منذ سلطنة الداجو وسلطنة التنجور، ثم ازدهر في عهد سلطنة الفور الكيرا والسلطان شاو دورشيد آخر سلاطين التنجر، وقد كان هذا السلطان -كما ذكر الثقات- مسلمًا وقد زوج ابنته خيرة لأحمد سفيان المشهور بأحمد المعقور، ولم يأخذ السلطان شاو دورشيد الإسلام من يد أحمد المعقور كما جاء في كتب بعض المؤرخين، لكن الإسلام وفد لهذه السلطنة من شمال إفريقيا وشمال غرب إفريقيا، بالاضافة إلى المهاجرين من علماء سودان وادي النيل الذين نزحوا إليها عللى مراحل من التاريخ.

ومن أبلغ الدلائل على وجود الإسلام بدارفور منذ القدم وجود أوقاف التنجر بالمدينة المنورة منذ عهد السلطان أحمد رفاعة التنجراوي، دلالة على أسلمة سلطنة التنجر كما تم العثور على آثار لأنقاض جوامع بمدينة أورى حاضرة سلطنة التنجر بشمال دارفور أي بالقرب من مدينة عين فرح الأثرية، والتي تعتبر إقليما جغرافيا متميزا يعد سجلا لتاريخ الحضارة الإسلامية في دارفور.

كانت انتشار الإسلام في دارفور يسير بوتيرة بطيئة أكثر مما تم في مملكة الفونج، و يرجع المؤرخون الفضل في انتشار الإسلام إلى القصر الملكي في مملكة دارفور وتشجيع الممارسة الشعائر الإسلامية إلى سليمان سولونغ ،فبفضل هذا الملك اصبح الإسلام دين رسميا لمملكة الفور، فقد بنا سولونغ المساجد و أقام أول صلاة الجمعة في دارفور لكن بقيت ممارسة الطقوس الوثنية التقليدية مستمرة إلى جانب الإسلام حتى بين صفوف عائلة كيرة الحاكمة لفترة طويلة من الزمن .

ولقد تعددت العوامل التي ساهمت في انتشار الإسلام في دارفور قبل منتصف القرن الخامس عشر الميلادي بزمن طويل، هذه العوامل كانت تؤتي ثمارها منذ أن انتشر الإسلام في بلدان غرب إفريقيا و وسط إفريقيا المعروفة جغرافيا باسم بلاد السودان الغربي والأوسط، منذ القرن الحادي عشر، حيث كان يمر حجاج هذه البلاد في طريقهم إلى بيت الله المقدس بإقليم دارفور، إضافة إلى الاتساع في حركة التجار العرب وغير العرب من المسلمين في هذا الإقليم ،والتي لاقت ترحيبا من سكان الإقليم، وهو ما ساعد على انتشار مسيرة الإسلام وتوطيد العربية لغة القرآن الكريم، والتخاطب في شتى المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وعندما أسس السلطان سليمان سلونق سلطنة الفور الإسلامية عام (848هـ- 1445م) اهتم ببناء المساجد وفتح المدارس وتعمير الخلاوى بالمدن والقرى، كما واصل حفيده السلطان أحمد بكر (1726م-1746م) نهج أسلافه في هذا المضمار بتشجيع انتشار الإسلام، من خلال بنائه للمساجد والمدارس القرآنية و شجع هجرة العلماء للعمل بدارفور لنشر دين الإسلام بطريقة علمية مؤسسة، فأرسل رسله للدول المجاورة، فوفد نفر كريم من العلماء الأجلاء من تمبكتو غرب أفريقيا ، ومن دار شنقيط ، ومن سلطنة البرنو، وسلطنة باقرمي والمغرب العربي، ومصر وتونس وفزان والحجاز وسودان وادي النيل بناء على دعوته، دخل هؤلاء العلماء سلطنة دارفور في فترات متعاقبة ، واستقروا بها لأداء مهمتهم الجليلة، فوجدوا من السلاطين الرعاية والاحترام والتقدير والتكريم، فمنحوهم الأراضي والمال الوفير والخدم لراحتهم واستقرارهم، اعترافًا برسالتهم المقدمة، واستقروا بوطنهم الجديد دارفور، ونشطت مدارسهم، وازدهر العلم في ربوع البلاد، وقوي الإسلام، وتبحر الناس في علوم الدين.

بالإضافة إلى دور محمد تيراب بجلبه للكتب الدينية من مصر و تونس ، أما عبد الرحمان الرشيد الذي كان عالما و فقيها في الدين فقد شجع الصوفية للقدوم إلى بلده و منهم الشيخ عمر التونسي صاحب تشحيذ الأذهان. و زار المملكة في عهده فقهاء من مصر و الحجاز والسودان النيلي و حتى السودان الغربي على شكل مالك الفيتاوي من فوتا ـــ تورو السنغالية، الذي كان معلما لعبد الرحمان قبل أن يصير سلطانا، ثم ولاه ابنه محمد الفاضل الوزارة بعد ذلك و لقد شجع السلطان عبد الرحمان الفقهاء على الاستقرار في أرضه بمنحهم الحواكير (نظام الحاكورة هو منحهم أراض يستغلونها دون أن يدفعوا عليها ضرائب)**.**

كما استقطب محمد تيراب الكتب الدينية من مصر و تونس، أما الملك عبد الرحمان الرشيد (1786 ــ 1800م)فقد كان رجلا متفقها و زاهد**ا،** كان حافظا للقرآن الكريم عفيف النفس عمل على تشجيع الفقهاء و الصوفيين من بلدان اخرى للاستقرار في دارفور و منهم ابن عمر التونسي و ابنه محمد الذي ألف كتابا بعد اهم المصادر التي تؤرخ لمملكة دارفور و موسوم بــ«تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب و السودان». كما جلب إلى بلاده فقهاء آخرون من مصر و الحجاز و السودان النيلي و غرب بلاد السودان، منهم الشيخ مالك الفوتاوي و هو من عائلة مشهورة بالعلم و الدين وكان معلما لعبد الرحمان قبل أن يتولى السلطنة، ثم أصبح وزيرا للسلطان محمد الفاضل، كما شجع الفقهاء و علماء الشرع على الاستقرار في بلاده من خلال إقطاعهم أراض وفق نظام الحاكورة الذي يعفيهم من الضرائب، و الذي كان يتمتع به نظراؤهم في مملكة الفونج. وقد ساهمت الحركة التجارية مع العالم العربي الاسلامي و هجرة المسلمين إلى دارفور بقسط كبير في انتشار الاسلام، بالإضافة إلى دور قوافل الحجاج التي كانت تمر عبر أراضيهم كل سنة.

و لقد لعبت قبائل الزغاوة التي تقع أرضهم في الجزء الشمالي الغربي من المملكة دورا عظيما في نشر الاسلام باعتبارها كانت تنمثل حلقة وصل مع الكانم التي تحولت خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر و الثامن عشر إلى مركز للحضارة العربية الاسلامية، حيث كانت قد سبقت دارفور إلى الإسلام بعدة قرون. كما شكلت ارض زغاوة نقطة التقاء مهمة للقوافل القادمة من المغرب والتشاد و مصر و غيرها. حيث كانت دارفور محاطة بممالك إسلامية من كل جهة ما عدا من جهة الجنوب حيث كانت هناك امم همجية.

و لقد ساهمت قوافل الحجاج المارة بدارفور بنصيب كبير في انتشار الإسلام، فلقد كانت هذه القوافل القادمة من وسط افريقيا و غربها و المتجهة إلى موانئ عيذاب و سواكن ابتداء من القرن 12م تمر بارض دارفور لتفادي الحروب الصليبية الدائرة في بلاد الشام و شمال البحر الأحمر. و كان كثير من الحجاج يستقرون في بعض المراكز التجارية بدارفور.

و هكذا أصبح الإسلام هو طابع الحياة اليومية في دارفور فكان كل امام او مدرس للقران في دارفور مسجد بالقرب من بيته يصلي بخمسة أو ستة مصلين و يعلم اولادهم القران و العربية، بالإضافة إلى خلاوي لتعلم العلوم الشرعية و له بالقرب من منزله حاكورة يعيش منها عهو وتلاميذته.

كما أصبحت الشؤون اليومية و الاحوال الشخصية تسير على نهج الشريعة الاسلامية، و حتى مرتبات السلطان التي يصرف منها على نفسه و اهل بيته كانت تؤخذ من بيت المال الذي كان ماله يأتي من الخراج والزكاة، الفطرة، فكانت الزكاة يقوم بجمعها رجل يسمى ملك الجبائين، حيث ياخذ عشر الغلال التي تجمع من الاراضي، و يجبون العشر من التجار و اهل الحضر،بالإضافة إلى الهدايا و الضرائب التي ورثتها الأعراف والتقاليد عندهم و خاصة التي يفرضها قانون دالي.

أ ــ **قانون دالي:**

هو مجموعة من القوانين العرفية التي جمعوها في قانون خاص و كلمة دالي معناها اللسان في لغتهم فكانوا يقصدون بها لسان السلطان، أي اوامره و نواهيه. و كان هذا القانون يوكل إلى حكام الولايات او المقدوميات عندهم لتنفيذه، و يعد ابو الشيخ هو المرجع الاعلى لهذا القانون، والملاحظ على هذه القوانين انها كانت تخالف الشريعة في بعض العقوبات و التي توارثوها من فترة ما قبل الاسلام. و من امثلة هذه العقوبات أن السارق يغرم بست بقرات، و عقوبة الزاني بقرة واحدة، و عقوبة من يضرب غيره ثوبا من قماش الدمور معروف عندهم. اما اذا كان الضرب دون جروح فالعقوبة هي نصف ثوب، و عقوبة شارب الخمر ثمانين جلدة و تكسر اواني الخمر في بيته. أما إذا أصيبت اراض بها عشب للرعي بحريق فتعاقب اقرب بلدة إلى هذه الارض ببقرة عن كل مساحة من الارض مقدارها درقة الخاصة بالحروب. و توزع اموال الدالي مناصفة بين السلطان و و النصف الاخر لأصحاب الحواكير و المقاديم و الشواتي.

و من المظاهر الإسلامية في دارفور أن السلطان كان يلقب بألقاب إسلامية مثل امير المؤمنين، وخادم الشريعة، و المنصور و الفقيه، فهناك رسالة ارسلها السلطان حسين لصهره احمد بن عيسى وهو من اعيان دارفور جاء في مقدمتها ما يلي: « من حضرة أمير المؤمنين و خلاصة الأكرمين، خادم الشريعة و الدين، الواثق برب العالمين...». و في رسالة اخرى بدأها كما يلي: «من أمير المؤمنين سيدنا و مولانا و أعلانا السلطان محمد الحسين المهدي المنصور بالله تعالى أمين»**.**

و من المظاهر الإسلامية أيضا أنه كان في كل بلدة من بلدات دارفور مسجدا، أو أكثر لتعليم الكتابة و القراءة و القرآن، وكان لكل فقيه أو شيخ أو مدرس مسجدا صغيرا بجانب منزله، حيث يؤم خمس مصلين و يعلم القرآن و علوم الدين، وبجانب هذا المسجد يوجد خلوات للمجاورين، يعلمهم فيها العلوم الشرعية، و له حاكورة هي هبة من السلطان يعيش منها هو وطلبته مما يجعلهم يتفرغون للعلم.

و من مظاهر الحضارة الاسلامية في دارفور اتباع الشريعة الإسلامية، في احكام الاحوال الشخصبة كالزواج و الميراث و الطلاق و غيرها، و حتى مصادر أموال السلطان كانت تحصّل بطرق شرعية كالزكاة و العشر، وكان المسؤول عن هذه الامداخيل يسمى ملك الجبائين الذين يجبون الغلال من البلاد، حيث كانوا يأخذون عشر ما يخرج من حبوب كزكاة وز يجعلونها في مطامير لاحتياجات السلطان، كما كانوا يجبون عشر من التجار الحضر و حتى من البادية.

**ب.هجرة العلماء لدارفور :**

هاجرت إلى دارفور قبائل أخرى ليست عربية الأصل، وكان لها أثرها في نشر الإسلام، نذكر منها قبيلة الفولاني التي جاءت من غرب جالون في القرن الثامن عشر، فكان منهم العالم مالك علي الفوتاوي، حفيد العالم عثمان دان فوديو، والعالم التمرو من شمال غرب أفريقيا، وأبو سلامة، والفقيه سراج. أما العلماء الذين وفدوا من سلطنة برنو فنذكر منهم العالم الشيخ طاهر أبو جاموسي الذي تزوج شقيقة السلطان تيراب، أيضا وفد من سلطنة باقرمي علماء مقدرون.

أما الميما فكان لهم دور عظيم في نشر الإسلام خاصة أيام سلطنة التنجر بشمال دارفور. كان لهؤلاء العلماء دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية، كما كان لهم الفضل في تعليم مذهب الإمام مالك، والكتابة بخط الورش قبل العمل بالخط العمري. واستفاد أهل دارفور من مدارس أخرى كمصر وتونس والحجاز وسودان وادي النيل، إلا أنهم في ذلك العهد تأثروا كثيرًا من ثقافة غرب أفريقيا الإسلامية , وأيضًا المغرب العربي. تعليم القرآن وعلوم الدين: ويعتبر أهل دارفور تعلم القرآن والقراءة والكتابة واجبًا دينيًّا على كل شخص -رجلا كان أو امرأة- خاصة في طور الطفولة؛ لذا كان يهاجر بعض التلاميذ إلى خلاوى بعيدة، وهو ما جعل حركة المهاجرين سمة من السمات الاجتماعية البارزة في دارفور، وهناك اعترافات بأن قبيلة الفور جعلت خلاوى المهاجرين مؤسسات قائمة بذاتها، لها نظم وقواعد ومفاهيم وقيم مرتبطة بها، ومن الطريف أنك قد تجد في بعض هذه الخلاوى تلاميذ كبار السن لم يحفظوا القرآن في سن مبكرة أيام طفولتهم، ثم اقتنعوا بأن طالب العلم ليس له حد في العمر، والعلم واجب تحصيله؛ لأن طالب القرآن في ذلك الزمان كان مقدرًا ومحترمًا من قبل سكان البلد، وبعد حفظ الطالب القرآن وتخرجه، تذبح له الذبائح، ويعرض له الزواج بواحدة أو اثنتين أو أكثر، لأنه أصبح شخصا مهما في المجتمع، ومن ميزات حفظ القرآن أن صاحبه لا يُطلب منه دفع المهر لزواجه إثر تخرجه إكرامًا له.

ولفقهاء الفور طريقة معينة لحفظ القرآن عُرفت بحبال الفور، وهي علم خاص، وفن راق له طريقة تعليم معينة، لا تجد مثله عند القبائل الأخرى الموجودة بدارفور، فلا يرضى العالم عند الفور بتحفيظ القرآن إلا إذا كان متبحرًا في علم الحبال، والحبل هو أولا عبارة عن وسيلة في عملية حفظ الآيات المتكررة، ثم يستعين بالحبال في حفظ الآيات المتشابهة، وهو أن يذكر جميع السور التي وردت فيها كلمة معينة وهذا أيضا بمساعدة الحبال، مثل الحبل "فبلاو" الذي يشير إلى الآيات التي فيها كلمة مصر والحروف المذكورة هي التي تلي كلمة مصر. لذا لا بد لدارس القرآن في تلك المرحلة أن يعرف أعداد الحروف الواردة في الكتاب، ولا يعتبر الحافظ عارفا بالقرآن، إلا إذا كان عارفًا بفن الحبال والحرف، فمعرفة الحبال تعتبر قمة المعرفة عند أفراد قبيلة الفور، وعندهم علم التجويد وهو من العلوم التي يدرسها التلميذ المتخصص.

ويوجد نوعان من الامتحانات للشهادات العليا في تعلم القرآن:

**فالنوع الأول :** هو امتحان القوني، فيجتمع عدد من العلماء الفقهاء، ثم يحضر الممتحن، وعليه أن يكتب ويقرأ من حفظه دون أن ينظر إلى المصحف، ثم عليه بالتجويد، وقد يطلب منه أن يقرأ من ثلاث عودات أو أكثر، كتابة وقراءة قبل أن تجاز له هذه الشهادة وهي لقب "قوني". أما النوع الثاني : فهو صعب غاية الصعوبة، لأن هذا الامتحان تحت إشراف وتنفيذ كبار المشايخ أي الفقهاء الذين اشتهروا بين الحفظة وبين أهل فن الحبال منذ سنين، في هذه المرحلة المتقدمة لا يسأل الممتحن عن حفظه بالقرآن، بل هذا الامتحان يرتكز على الحبال، فإذا نجح الطالب في الامتحان فقد امتاز، ويسمح له بفتح خلوة جديدة، كما تقام له احتفالات ومهرجانات قد تستمر أسبوعًا كاملا، يحضرها الحفظة والمشايخ والقواني، هذه هي العادات والنظم التي يتميز بها التعليم عند مجتمع الفور. مراكز العلم بدارفور: نذكر من أشهر مراكز العلم بدارفور كريو لمؤسسة مالك الفوتاوي وأسرته، ومركز كوبي للعالم عبد الرحمن كاكوم، ومركز جديد السيل الذي درس فيه فقهاء الجوامعة، ومركز هبيلة للفقيه عبد النبي ساجا، ومركز شوبا شمال جبل مرة، ومركز الدامرة شمال كتم لمؤسسة الشيخ عبد الباقي المسيري الفليتي، ومركز كونو شمال زالنجي. كان بكل قرية مسجد يتعلم فيه القرآن، وكان لكل عالم مسجد بالقرب من منزله يصلي فيه الصلوات الخمس ، وبجواره خلاوى المهاجرين، كان بعض المهاجرين يذهب إلى الأزهر بالتعريف بالقاهرة، حيث بدأت هجرتهم منذ 1850م، وخصص لهم في ذلك الوقت رواق بالأزهر، اسمه رواق دارفور ما زال محتفظا بهذا الاسم إلى يومنا هذا كما هاجر أهل دارفور إلى تونس وغرب أفريقيا طلبا للعلم.

**ج.كبار العلماء في دار الفور :**

هنالك عدد من العلماء اشتهروا بسلطنة دارفور الإسلامية، نذكر منهم العالم عبد الرحمن كاكوم، الذي أتى دارفور من سودان وادي النيل، وهو من أبرز العلماء الذين نشروا العلوم الإسلامية في دارفور، زامن عصره عهد السلطان محمد تيراب الذي تولى حكم سلطنة دارفور من 1768م إلى 1787م بعد فترة غادر الفقيه عبد الرحمن كاكوم سلطنة دارفور إلى الأزهر ، ودرس كل ما يخص علوم الدين، ومكث هنالك قرابة ثلاثين سنة، وكان يصوم السنة فأطلق عليه الضويمر ـ أي صايم ديمه ، ثم عاد إلى دارفور عالما في زمن السلطان عبد الرحمن الرشيد الذي حكم دارفور في الفترة من 1787م إلى 1806م فاستقبله بحفاوة بالغة، واستقر بمدينة كوبي، وشيد مسجده الذي صار معهدًا، وجذب الكثير من طالبي العلم حتى من سلطنة وداي المجاورة لدارفور. ذكر الثقات أن الإمام كاكوم هو الذي أشار للسلطان عبد الرحمن الرشيد بصلاحية الفاشر كعاصمة لدارفور، ظل أحفاد العالم كاكوم يزاولون مهنة العلم والتدريس والإمامية إلى عهد السلطان علي دينار الذي استشهد في نوفمبر 1916م.

ومن مشاهير العلماء في دارفور آنذاك الفقيه حسين ود عماري الذي ولد بطويلة وهو من قبيلة العريفات، فقد سافر حسين ود عماري إلى الأزهر بصحبة قافلة تجارية، ومكث هناك أكثر من خمس وعشرين سنة، درس علوم الدين الإسلامي وتفقه فيها. بعدها عاد إلى السودان، وزار في طريقه دنقلا وشندي وأم درمان وكوستي والأبيض، وكان يقوم بحلقات دراسية في هذه المدن، ثم وصل الفاشر في عهد السلطان محمد الفضل أكرم السلطان محمد الفضل الفقيه حسين ود. عماري وقربه إليه، وجعله معلمًا ومربيًا لأولاده، ثم رئيسًا لديوان السلطان.

و من أكابر العلماء مولانا فخر الدين بن الفقيه محمد سالم شيخ الشغا، والفقيه سالم شيخ العزيمة، والإمام الضو بن الإمام المصري، إمام السلطان، والعالم عز الدين من الجوامعة حضر من كردفان وملاونا القاضي أحمد طه بكوبي، العالم سعد من أهل الخبير والفقيه أبو سلامة بن الفقيه مالك شيخ الموطأ والفقيه الشيخ الدرديري من كردفان.

**خامسا:ممالك كردفان :**

أ. **مملكة تقلى:**

في الحقيقة فان كردفان هو تعبير عن إقليم أكثر من مملكة، و هو ما يعرف عادة بكردفان الكبرى، و يعود أصل كلمة كردفان كما ورد في المصادر التاريخية إلى ثلاث صيغ هي: كردفال، كوردفان، كردفان، وأشهر الراويات المحلية قاطبة تعود إلى حاكم جبل كردفان الذي كان يدعى (كردم) أو(الكرد) والذى كان يغضب لأبسط الأسباب فيقاال (الكرد فار) وفار تعني غضب وحُرف الاسم الى كردفال أو كردفان كما تسمى اليوم، والرواية الثانية ترجع الاسم إلى النوبة سكان المنطقة الأصليين فيقال إنها كلمة نوباوية تم تحريفها من الكلمة كلدوفان ( وتعنى أرض الرجال)**.** بينما لما نتحدث عن ممالك هذا الاقليم فإنها ممالكتان ظهرتا بين مملكتي الفونج و الفور وهما تقلى و المسبعات.

أما بالنسبة لمملكة تقلى فقد ظهرت خلال القرن 16م في الجزء الجنوبي من كردفان الذي تسيطر عليه جبال النوبة ، و لو أن هذه المملكة لم تبلغ اهمية و لا اتساع مملكتي الفونج و دارفور إلا أنها ساهمت بدور كبير في نشر الإسلام في بلاد النوبة، و لا نكاد نعرف عنها شيئا سوى ما وصلنا عنها روايات شفوية تداولها أهل المنطقة، أو ملاحظات بعض الرحالة و المؤرخين. و عموما فقد كانت هذه المملكة تسيطر على جبال النوبة ، وذلك بعدما سقطت مملكتي علوة و مقرة المسيحيتين اتخذت من هذه الجبال ملاذا لها، و في هذه الجبال استقرت و عرفت استقلالها وحافظت على هويتها في تلك الجبال المحصنة و لم تذب في ثقافة العناصر العربية و حافظت على أصالتها النوبية و عاداتها و الإفريقية الوثنية رغم أنها عرفت الإسلام منذ عدة قرون.

لكن بحلول القرن الخامس عشر و السادس عشر عرفت توافد عناصر عربية على سهول كردفان و تزاوجوا و تصاهروا من السكان االوطنيين هناك فتكونت قبائل مستعربة ، و بدأت هذه القبائل تزحف تدريجيا نحو جبل النوبة و بدأت أولا بالمناطق غير الوعرة و منها جبل تقلى حيث تشكلت بعض القرى مثل تأسى، كرابا، الهوى، و خلال القرن 16 قدم إليها رجل عربي غريب وفقير من الجعليين يدعى محمد الجعلي الجموعي، الذي يعد المؤسس الحقيقي للمملكة، حيث تمكن في ظرف قصير من كسب مودة ومحبة و ثقة الناس هناك في جبل تقلى، بسبب ورعه و حسن أخلاقه، فانجذبوا إليه و تأثروا به من خلال اخلاقه الرفيعة و تقواه و علمه و رجاحة عقله ، فقرَّبَه إليه زعيم تقلى المدعو كيركير فزوجه ابنته، فأنجبت له ولد اشتهر باسم جيلي أبو جريدة، و كان ذلك سنة 1540م.

عمل محمد الجعلي على نشر الإسلام بين صفوف الجبل، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يعلم الناس شعائر الإسلام، وقد تلقت دعوته تالك قبولا طيبا لدى السكان، و لما كبر إبنه أبو جريدة سار على خطى والده من الدعوة و العلم. و لما توفي جده كيركير ورث الحكم في تقلى مستفيدا من نظام وراثة الحكم في بلاد السودان التي يتم انتقال الحكم فيها عن طريق ابن البنت. وكان أبو جريد يلقب أيضا بالأحمر لأن بشرته ليست بيضاء، كما لقب بالقيلي أو(Gili)، التي تعني الغريب باللغة النوبية، وذلك نسبة إلى دمه الغريب عن أهل المنطقة.

و بتنصيب أبا جريد حاكما على تقلى سنة 1570م يكون قد تم تسجيل ميلاد مملكة تقلى الكردفانية، و التي تزامنت مع قيام ممالك الفونج و الفور و العبدلاب، و لقد عمل أبو جريد على تشجيع هجرة العرب إلى تلك المنطقة الوعرة كما شجع العلماء و رجال الصوفية إلى الاستقرار في تلك الجبال من أجل نش الإسلام و تعليم القرآن، فكان الشيخ تاج الدين البهري هو أول من استقر بها من الصوفية و نشر الطريقة الصوفية و ذلك سنة 1577م، كما تتداول الروايات بأن الولي الكبير المعروف بمكي الدقلاش تلميذ الشيخ العركي قد أرسل اثنين من مريديه إلى تقلى في عهد السلطان سابو من أجل أن يزوّجه من جاريتين لكن ملك تقلى أهداه واحدة فقط و لما ألحا عليه زوّجه ابنته خيرة التي انجبت منه الشيخ إسماعيل صاحب الربابةو ذلك سنة 1683م.

يذكر صاحب كتاب طبقات في خصوص الاولياء و الصالحين و العلماء و الشعراء في السودان اسماعيل صاحب الربابة حفظ كتاب الله على الفقيه محمد ولد منوفلي خليفة أبيه و تعلَّم افقه و التوحيد على الشيخ مختار شارح الأخضري، وأنه درّس كتاب الرسالة، و درّس التوحيد و له أشعار في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم، و كتاب في الطريقة و آداب الذكر، و هو بنتمي الى الطريقة الصوفية التي تسمى الملامتية و هي فرقة يفعلون اللوم في ظاهر الشرع، و لقد قُتل إسماعيل صاحب الربابة من طرف الشلك الوثنيين هو تلاميذته.

و لقد عرفت مملكة تقلى حركة تجارية رغم عزلتها و صعوبة تضاريسها و هذا بسبب قدوم التجار العرب للتجارة بالذهب الذي تزخر به المنطقة. كما استغل أحفاد أبو جريدة الجعلي قضية نشر الإسلام طريقة للتوسع على حساب أراضي واسعة و التربع على عرش المملكة، فلقد عرفت هذه الاسرة 11 ملكا تداولوا على عرش تقلى آخرهم كان عمر بن أبكر (1814 ــ 1827).

لقد خلف أبو جريدة في الملك تسعة عشرة شخصا من نسله، حيث حافظوا كلهم على استقلالها حتى في عهد محمد علي والي مصر الذي ضم كامل السودان الشرقي لملكه، كما قاومت الحركة المهدية، و قد دأبوا كلهم على نشر الإسلام و اللغة العربية بين سكان النوبة الأصليين، كما شجعوا القبائل العربية على الهجرة إلى كردفان من أجل لمساهمة في تعزيز الإسلام و العربية وتعمير ذلك الإقليم.

أما بخصوص علاقة ملوك تقلى بجيرانهم فتذكر الروايات أن السلطان قيلي ابو قرون تزوج بنت السلطان الفونجي بادي بن رباط، و هذا من أجل كسب ود الفونج بعدما شعروا بقوتهم و تهديدهم لهم، و لكن رغم هذه المصاهرة فان ملوك الفونج لم يوقفوا تهديداتهم على تقلى كان اخرها في عهد السلطان بادي ابو الدقن، الذي بدا بالسيطرة على النيل الابيض باتجاه النوبا ثم غزا مملكة تقلى، وسبب هذه الحرب هو غرور ملوك تقلى، اذ قام قيلي ابو قرون بفرض ضرائب كبيرة على احد اصدقاء السلطان بادي أبو الدقن و اساء معاملته و تحداه ظانا أن الصحراء و عزلة مملكته تحول بينهما. فجمع له جيشا زحف على تقلى فنهبها و سباها إلى أن اتفقا على هدنة يدفع له من خلالها سنويا عدد من العبيد، و بقيت على هذا الحال إلى غاية الثورة المهدية اين أصبحت تابعة لدولة المهدي.

**ب.مملكة المسبعات:**

قامت سلطنة المسبعات في كردفان و مؤسسيها هم المسبعات الذين يعدون أبناء عمومة سلاطين دارفور، ويشتركان في جد واحد، ذلك أن سليمان سولونغ سلطان سلطنة دارفور كان له أخ يدعى مسبَّع اقتسم معه الملك فأخذ سولونغ بلاد الفور و منح لأخيه بلاد تونسام و هو إقليم كردفان، و تعاهد الأخوان على أن يقنع كل واحد منهما بملكه فلا يطمع أي منهما بمملكة الآخر، فعاش الاخوان في سلام و امان إلى غاية عهد سلطان دارفور محمد تيراب حيث قام حاكم كردفان من أحفاد المسبَّع و هو هاشم المسبعاوي الذي قويت شوكته و أصبح له جيشا عظيما سيّره لغزو مملكة أبناء عمومته دارفور فسبى و غنم و هو ماجعل السلطان تيراب ينقض ما بينهم من عهد فاعاد احتلالها و ضَمّها إلى ملك دارفور و بالتالي فشلت مملكة المسبعات أن تشكلة دولة مستقلة تماما عن التهديدات القادمة من دارفور، أو الفونج، و كانت آخر محاولة لتحقيق ذلك في عهد هاشم المسبعاوي.

حيث تدخل الحلف السناري العبدلابي في شؤون المسبعات لما توفي سلطانهم جنقل و تعيين ابنه عيساوي ملكا على المسبعات ففر عدد من المعارضين له و استنجدوا بملك الفونج محمد ابو لكيلك و زعيم العبدلاب عبد الله راس تيرة ، الذين سيَّروا جيشا لغزو المسبعات و دارت بين الجيشين موقعتين سنتي 1747 و1751م، انتهت بهزيمة الحلف الفونجي العبدلابي و انفرد العيساوي بالسلطة في كردفان، و حاول غزو دارفور لكنه فشل و قُتل غدرا من طرف عمه مصطفى، الذي لم يعمر كثيرا في منصبه حتى ارسل له الفونج جيشا بقيادة أبي لكيلك فهرب إلى شمال كردفن قبل أن ينادي المسبعات بابن مصطفى و هو هاشم المسبعاتي السالف الذكر ملكا عليهم.

**سادسا: انتشار الاسلام في كردفان:**

تأثرت حركة انتشار الإسلام في كردفان بتوطيد أركان مملكتي الفونج و الفور الإسلاميتين التان بفضلهما انتعشت الهجرات العربية من جهينة نحو الجنوب الشرقي من جبل النوبة وكردفان، فقبل بدء هذه الهجرة إلى تقلى، وكردفان، ودارفور، كانت هناك مراكز للتعليم موجدة في شمال النوبة والتي جذبت أعدادًا كبيرة من الطلاب من المجتمعات حديثة العهد بالإسلام، حيث كان يجتمع عند الشيخ محمد القدال القاطن بالقرب من الدويم حوالي ألف وسبعمائة من أهل التكرور والفلاتة، والهوسا، والبرقو، وربما بعضًا من الفور، كما بلغ طلبة الشيخ أرباب العقائد (الخشن) ألف طالب، كلهم من المنطقة الممتدة بين جنوب الجزيرة برنو، وكان بعض المشايخ يشتري الرقيق أو يحصل عليهم عن طريق الهبة، فكان يدخلهم في الإسلام ويفقههم في الدين ثم يعتقهم ليكونوا دعاة بين أهلهم، وكان أتباع الشيخ حمد ود أم مريوم من قبيلة فزارة التي تعيش في دارفور يأتونه بزكاة الماشية، فيشتري بثمنها الرقيق فيعتقهم بعد أن يفقههم في الدين.

أما انتشار الإسلام في كردفان ودارفور فلا يختلف كثيرًا عن النهج الذي سار عليه في حوض وادي النيل الأوسط؛ فقد مر بمرحلتين رئيسيتين، ولعل الخلاف الوحيد بين الحالتين أن انتشار الإسلام كان أكثر بطئًا في منطقتي كردفان ودارفور، فعلى يد المهاجرين العرب الذين وفدوا من الشمال ومن الشرق واختلطوا بالسكان الوطنيين، وعلى التجار الوافدين من شمال إفريقيا وأواسط بلاد السودان وضعت اللبنات الأولى لنشر العقيدة الإسلامية، وبدأت المرحلة الثانية بقيام السلطنات، خاصة مملكتي الفور وتقلى، واللتين كانتا في بعض مظاهر نشأتهما نتاج هجرة بعض الفقهاء إليهما، وقد شجعت هذه الممالك، كما فعل الفونج من قبل، هجرة رجال الدين إليهما، فقام هؤلاء بنشر العقيدة الإسلامية، وكان معظم هؤلاء العلماء من الدناقلة، ومن أفراد المجموعة الجعلية، ومن مصر والحجاز وأواسط بلاد السودان.

و مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي كانت العقيدة الإسلامية قد تجذَرت، وامتدت فروعها على أجزاء كبيرة من سودان وادي النيل، ولعل خير ما يعكس هذا التطور كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والعلماء الصالحين، الذي توفي مؤلفه محمد النور بن ضيف الله عام1810م.